

وفي هذا الضوء ينبغي أن نفسر ما حصل في بداية الخمسينات من تغيرات ثورية في البلدان العربية ما لبثت أن تركت تأثيرها على مجمل تطور حركة التحرر الوطني العربية في ربع القرن الاخير .

فما الذي حصل في الخمسينات ؟

لقد حصل ارتقاء في عملية التمايز داخل حركة التحرر الوطني العربية بحيث أصبحت الحركة في مرحلة نوعية جديدة ، اغتنى فيها مضمونها وأصبحت تعبر عن المصالح القومية والاجتماعية للطبقة العاملة والاكثورية الساحقة من الكادحين ، وتتميز هذه المرحلة بأن فئات من البرجوازية المتوسطة والصغيرة تصدت ، عبر انقلابات عسكرية قام بها ضباط وظيفيون من الرتب الوسطى والصغيرة ، لقيادة الحركة الوطنية كرد فعل مباشر لخيانة الفئات العليا من البرجوازية المرتبطة بالاستعمار والمتحالفة مع الاقطاع . هذا ما عبرت عنه ثورة يوليو في مصر (١٩٥٢) والتغيرات السريعة المتوالية في سوريا واندلاع ثورة الجزائر ، وثورة ١٤ تموز في العراق والثورة في اليمن والحركات الوطنية في بقية البلدان العربية في المشرق والمغرب . وكان طبيعيا ان تواجه هذه القيادات الجديدة قضية الاختيار نفسها ، اختيار طريق تطور البلدان العربية . وبرغم ان الديمقراطيين الثوريين المتحدرين من اصول برجوازية صغيرة ومتوسطة لم يستندوا في تحليلاتهم السياسية والاقتصادية الى نظرية علمية ، فقد كانت سياسة التجربة والخطأ كافية لان تقودهم الى معرفة المفتاح لحل المشاكل التي يواجهونها . وكان اول قرار اتخذه - ولجمال عبد الناصر الفصل الاول في ذلك - هو التوجه للاتحاد السوفياتي كحليف طبيعي وموضوعي لحركة التحرر الوطني العربية في نضالها من اجل تدعيم استقلالها السياسي وتقدمها الاجتماعي . ولم تكن في هذا المجال قضية كسر احتكار السلاح عملية بسيطة عابرة ، بل كانت حلقة في سلسلة من المواقف التي كانت تملئها في آن واحد المهتمات المعقدة المطروحة امام هذه البلدان والتحالف الموضوعي بين الثورة الاشتراكية والثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان النامية . اذ ما لبثت صفقة السلاح التي عقدتها كل من مصر وسوريا مع البلدان الاشتراكية ، ان وضعت البلدين امام مهتمات مترابطة : مهمة مواجهة عدوان اسرائيل ضد مصر (١٩٥٦) والتهديد بالعدوان التركي ضد سوريا (١٩٥٧) من جهة ، وعملية استعادة الثروات والمرافق الوطنية ، (تأميم قناة السويس) من جهة ثانية ، وعملية التنمية (بناء السد العالي) من جهة ثالثة ، واستكمالا لعملية التنمية ، تأميم المرافق الاساسية ، من جهة رابعة . وفي كل هذه المهتمات كان العدو يتحدد اكثر فأكثر ، اسرائيل والامبريالية العالمية والفئة العليا من البرجوازية المتحالفة مع الاقطاع . كما كان يتحدد بوضوح الحليف الاساسي ، الاتحاد السوفياتي ، والبلدان الاشتراكية التي وقفت منذ البدء بكل طاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية لمساندة البلدان العربية في جميع هذه المهتمات التي تواجهها . وبالامكان في هذا السياق ايراد امثلة لا تحصى على اشكال الدعم السوفياتي للبلدان العربية .

ولعل خير ما يمكن ان نورد في هذا المجال هو ما ورد على لسان عبد الناصر في مناسبتين : المناسبة الاولى في خطاب القاه في افتتاح دورة الانعقاد الثالث لمجلس الامة (١٩٦٥) حين قال : « ان علاقتنا بالاتحاد السوفياتي ترداد بالصدقة المتكافئة قوة وبالتعاون المثمر خصوبة . ولقد لمست بنفسني خلال زيارتي الاخيرة للاتحاد السوفياتي مدى الجهود الجبارة التي تبذلها شعوبه المحبة للسلام لكي تبني تقدمها الانساني العظيم الذي يكرمه ان هذه الشعوب المناضلة لا تعزل قضية تقدمها عن